سلسلة نُبَذ (٤١)

عظات لاهوتية وعقيدية

التجسد والفداء

بقلم

قداسة البابا شنوده الثالث

الطبعة الأولى

٢٠٢٤م

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٨

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٧

التجسد والفداء*

أسباب التجسد

نتحدث عن موضوع "**التجسد والفداء**"، وربطنا هذين الاثنين الاسمين معًا باعتبار **أن الفداء هو الغرض الأول من التجسد،** بمعنى أن التجسد – كما يرويه القديس أثناسيوس الرسولي في كتابه تجسد الكلمة – له أسباب، الأساسي منها والضروري جدًا هو الفداء، وهناك أسباب جانبية لكن للأسف بعض الناس أخذوا بعض هذه الأسباب

---

* عظة لقداسة البابا شنوده الثالث، بتاريخ ٢٣ أكتوبر ١٩٨٥م.

الجانبية وتجاهلوا الفداء وهذا يسمى "اِنحراف"، فهم نسبوا هذا الفكر لأثناسيوس، وأثناسيوس بريء منه كل البراءة، فلو كان المسيح في تجسده لم يعمل سوى عمل واحد فقط هو **الفداء** كان أدى رسالته، **ولو أن المسيح في تجسده عمل أعمالًا كثيرةِ جدًا ولمِ يقم بعمل الفداء فتجسده لم يأتِ بالقصد الإلهي منه.**

❖ إذًا الفداء هو أساس التجسد...

وسنذكر الخطوات الخاصة بالتجسد - مُعتمدين فيها على رأي القديس أثناسيوس -، أول نقطة أن الإنسان أخطأ وخطيئته هي خطيئة ضد الله، لماذا؟ لأن الخطية هي مخالفة وعصيان لله، وثانيًا لأنها عدم محبة الله، لأن الله يقول: الذي يحبني يحفظ وصاياي، "إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي" (يو ١٤: ٢١).

وثالثًا، أن الإنسان في خطيئته لم يكن مؤمنًا إيمانًا كافيًا بالله وبكلامه، بمعنى أن الله قال لهم: "وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ

وَالشَّـــرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ "يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ" (تك٢:١٧)، ولكن الشيطان قال لهم: "لَنْ تَمُوتَا!" (تك٣: ٤)، فصـــدقوا الحية وكذبوا الله، فلم يكونا مؤمنين بكلام الله كما يجب، بالإضافة إلى اختباء الإنسان وراء الشجرة وكأن الله لا يراه، فذلك يعتبر عدم إيمان لأن الله يرى في كل مكان.

رابعًا، أن في خطية الإنسان الأول كبرياء ومنافسة لله عندما قال لهما: "وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّـــرَّ" (تك٣: ٥)، فعدم تصـــديقهم لله يعني أن إيمانهما بالله ضـــعيف، وأنهما متمردان عليه، لكونهما ينافســـان الله ويريدان أن يكونا مثله، وهذه كلها أخطاء ضد الله نفسه، وأمور أخرى كثيرة ذكرتها في كتاب "آدم وحواء".

وطالما أن الخطية ضد الله، والله غير محدود، فتكون الخطية غير محدودة، وبالتالي تصـــبح عقوبتها غير محدودة، إذًا لزم لها كفارة غير محدودة، وهذا كلام القديس أثناسيوس الرسولي.

أنواع الموت

الإنســـان حينما أخطأ اســـتحق حكم الموت وهناك أربعة أنواع من الموت.

الموت الجســـدي وهو انفصـــال الجســـد عن الروح، **والموت الروحي** هو انفصـــال الروح عن الله، **والموت الأدبي** هو فقدان الصــــورة الإلهية وفقدان الكرامة التي كانت للإنســـــان قبل السقوط، **والموت الأبدي** هو الهلاك الأبدي في جهنم النار.

والكتـــاب المقـــدس يقول: "لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّـــةِ هِيَ مَوْتٌ..." (رو٦: ٢٣)، فلماذا لم يمت آدم وحواء في نفس اليوم؟ الحقيقة أنهما ماتا الموت الروحي بانفصــــالهما عن الله وماتا الموت الأدبي بفقدان الصورة الإلهية، وفيما بعد ماتا الموت الجسدي، أما الموت الأبدي فأنقذهم منه المســـيح بالفداء، فالأربع أنواع من الموت تعَرض لهم الإنسان.

القديس أثناسيوس يقول: "إنه بموت الإنسان وجدت مشكلة؛ إذ كـان لا بـد أن يموت الإنســـــان وليس من اللائق أن يموت

الإنسان!" وهما عكس بعضهما؛ لا بد أن يموت الإنسان لكي يكون الله صادقًا ولكي يكون الله عادلًا، لأنه ما دام قال: "موتًا تموتا" ولم يموتا، إذًا هنا الله غير صـــــادق، وإذا كان حكم عليهما بالموت ولم يموتا إذًا الله غير عادل، لأن هناك مساواة في حالة الخطية وحالة عدم الخطية وهذا ضد عدل الله، ولأن أجرة الخطية موت فإذا لم يتم الموت، فعدل الله لم يُســـتوفَ، فكان لا بد أن يموت الإنسان لكي يكون الله عادلًا ولكي يكون الله صـــادقًا، وهنا تكلم القديس أثناســـيوس عن العدل الإلهي بعكس ما يقوله البعض إنه ليس هناك ما يسمى "عدل إلهي"، وللأســـف هذا من الأفكار الغريبة التي يســـمعونها من هنا وهناك.

في الناحية المُضادة كان من غير اللائق أن يموت الإنسان، لماذا؟

لأن موت الإنســان ضــد محبة الله ورحمته، وخصــوصًــا أن الإنســـان كان بســـيطًا وليس في دهاء الشـــيطان، ومن غير المعقول أن يتركه للشيطان هكذا يفترسه!

وكان أيضًا موت الإنسان ضد كرامة الله لأن هذا الإنسان مخلوق على صورة الله، وأُشبه ذلك بشخص امسك صورة الله ومزقها أمامه.

وكان موت الإنسان ضد قوة الله كأن هناك حرب بين الله والإنسان، فالله استخدم قوته العجيبة في خلق الإنسان على صورته كشبهه كمثاله، ولكن الشيطان أراد تضييع هذا العمل، مثل فنان أخذ وقتًا وجهدًا في عمل تمثال جميل وأتى واحد وألقى هذا التمثال على الأرض.

كذلك كان موت الإنسان ضد حكمة الله كما قال القديس أثناسيوس: **"ما الحكمة إذًا من خلق الإنسان لكي يموت؟ كان خيرًا له لو لم يُخلق من أن يُخلق لكي يموت"**.

إذًا توجد مشكلة هنا وهي لا بد أن يموت الإنسان وضدها ليس من اللائق أن يموت، فمَن يستطيع حل هذه المشكلة؟

يحلها عقل الله "الأقنوم الثاني" أو "معرفة الله" أو "أقنوم المعرفة" الذي هو الابن، حلها بمسألة التجسد والكفارة.

ما هي مسألة التجسد والكفارة؟

عقل الله الذي هو الأقنوم الثاني قال: الحكم صدر ضد إنسان إذًا لا بد أن يموت الإنسـان، إذًا يتجسـد كإنسـان، **وصـار الله إنسانًا لكي يأخذ الحكم الصادر ضد الإنسان**، ولعل هذا هو السـبب الذي من أجله كان المسـيح دائمًا يُلقِب نفسـه "ابن الإنسان" بكثرة، لأن هذا اللقب يحمل معنى نيابته عن الإنسان وأنه ما دام ابن الإنسـان فيمكن أن يُنفذ الحكم الصـادر ضـد الإنسان، لذلك لم يكن مُمكنًا أن يموت عن الإنسان ملاك ولا رئيس ملائكة ولا حيوان ولا أي كائن من الكائنات، لماذا؟

أولًا: لأنهم محدودون والخطية غير محدودة...

ثانيًا لأن الحكم صـدر ضـد إنسان فلا بد أن يموت الإنسان، ولم يكن ممكنًا أن الله يخلق إنسـانًا آخر(جديد) ويموت لأنه سيكون غير محدود كما أنه لا بد أن يموت هذا الآدمي نفسه الذي أخطأ، لذلك صار المسيح إنسانًا من نسل هذا الإنسان بالذات، حتى يمكن أن ينوب عن هذا الإنسـان وينفذ الحكم

الصادر ضد الإنسان.

لماذا تعتبر الخطية غير محدودة ومَن ارتكبها إنسان محدود؟

صحيح ارتكبها إنسان محدود لكنها كانت ضد إله غير محدود، وكلما كان الإنسان الذي تُخطئ إليه كبيرًا كلما كانت الخطية ضده كبيرة، فحينما يعلو صوتك على أخيك فهذه خطية لكن حينما يعلو صوتك على أبيك فهذه خطية أكبر، فكيف يكون الأمر حينما يعلو صوتك على أبيك الروحي أصبحت الخطية أكبر وأكبر، مثلما أخطأ هارون ومريم ضد موسى النبي. ولو أخطأت في حق ملاك أو رئيس ملائكة أصبحت أكبر بكثير جدًا، **أما إذا أخطأت ضد الله إذًا الخطية هنا غير محدودة.**

لهذا تجسد المسيح لكي يقوم بوفاء الخطية، مثلما نقول في القداس "تجسد وتأنس"، ونقصد بتأنس؛ أي صار إنسانًا كاملًا لأن البعض مثل أبوليناريوس قال: "إن ممكن يأخذ جسد وليس محتاجًا لروح، فيحيا باللاهوت الذي فيه"، فلكي تشجب

الكنيسة هذه البدعة باعتبار أنه لو كان المسيح جسد فقط من غير روح، إذًا لم يُشبه طبيعتنا ولم يكن إنسانًا كاملًا فقالت: "تجسد وتأنس". **تجسد يعني أخذ جسدًا، وتأنس يعني صار إنسانًا؛ وإنسانًا يعني إنسانًا كاملًا بجسده ونفسه وروحه على الرغم من اللاهوت.**

وفي تجسده وتأنسه لا بد أن يكون طاهرًا نقيًا قدوسًا، لماذا؟ لأن الشخص الذي له خطية إذا مات يموت عن خطيته، أما الذي بلا خطية فإذا مات يموت عن خطية غيره، **وكيف أتمّ المسيح ذلك؟** بأمرين أولهما أنه حُبل به بلا دنس فلم يرث شيئًا من خطية آدم ومن فساد طبيعته، وثانيهما كانت حياته على الأرض حياة مقدسة "مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟" (يو٨: ٤٦) هكذا قال.

إذًا في ولادته لم يأخذ من القديم شيئًا، وهو ذاته لم يفعل شيئًا خاطئًا فكان بارًا من كل ناحية "الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لو١: ٣٥)، وما دام بلا خطية يمكن أن يموت عن خطية غيره.

❖ وكان لا بد أنه يموت ويتألم ليدفع ثمن الخطية...

ولهذا لم يسمح السيد المسيح مُطلقًا بأن لاهوته يحميه من آلام ناسوته، فكان يمكن أن يستخدم قوة لاهوته لتحميه من آلام ناسوته ولكنه لم يفعل هكذا، **وإنما ذاق الألم حتى كماله من أجل** هذا قال: "إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (مت٢٧: ٤٦)، أي قال: إن لاهوته تركه ليتألم دون أن يمنع الألم عنه، وقال للآب: إنه تركه يتألم دون أن يمنع الألم عنه؛ لأن لو اللاهوت منع الألم عنه إذًا مسألة الصليب شكلية ومظهرية، لكن هو تألم ألمًا حقيقيًا وحتى قيل في سفر إشعياء: "أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ" (إش٥٣: ١٠).

"وَهُوَ **مَجْرُوحٌ** لأَجْلِ مَعَاصِينَا، **مَسْحُوقٌ** لأَجْلِ آثَامِنَا" (إش ٥٣ :٥)، وهناك مظهر آخر لألمه عبارة "أَنَا عَطْشَانُ" (يو١٩: ٢٨)، وبالطبع هو لم يقل هذه العبارة إلا بعد ما تصفت كل المياه من جسده، إلى جوار التعب الكثير في الجلد وفي المشي، حيث وقع تحت الصليب أكثر من مرة،

كل ذلك يدل على أنها كانت آلامًا حقيقية.

❖ المسيح جاء لكي يموت عن خطايانا...

"لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رو ٥: ٨)، "لأَنَّ الْمَسِـــيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُـــعَفَاءَ، مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ" (رو٥: ٦)، "والَّذِي بَذَلَ نَفْسَـهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا" (غلا١: ٤).

"وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا" (إش٥٣: ٥).

"فإِن الْمَسِيحَ أَيْضًـا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ" (١بط٣: ١٨)، فكله لأجل خطايانا، ليســـتوفي العدل الإلهي.

جاء لكي يموت من أجل الخطايا وأجرة الخطية موت، إذًا هو جـاء ليـدفع الأجرة ثمن الخطيـة إذًا جـاء ليـدفع ثمن العـدل الإلهي، لأن العدل الإلهي يطالب صــــاحب الخطية بالموت وهو جاء ليدفع ثمن الموت.

آراء خاطئة والرد عليها

الرأي الخاطئ في هذا الموضوع يقول: "إنه لم يأت للعدل الإلهي وجاء لتجديد الطبيعة البشرية"!

هذا الكلام الذي يوجد في كتابات جورج حبيب وتلاميذه، قصة تجديد الطبيعة البشرية هذه بالنسبة للمستقبل، لكن غفران الخطايا بالنسبة للماضي، بمعنى افرض واحد تجددت طبيعته وسار في طريق مستقيم، ولكن ماذا يفعل في حسابه القديم؟ الذي أُجرته موت، يوجد موت في حسابه القديم! ومهما تجددت الطبيعة، كيف يُستوفى حساب الموت القديم؟ لا بد بالموت، ومن هنا مات المسيح لأجلنا "البار من أجل الأثمة". ولو لم يكن الإنسان تحت حكم الموت، إذًا لأي هدف جاء المسيح؟ يكون تجسد ومات عبثًا إذ لم يكن هناك حكم موت جاء ليستوفيه!

وإذا كان هناك حكم موت جاء ليستوفيه، إذًا هنا يبدو العدل الإلهي مُستوفيًا حقه.

وهنا نقول إن الســيد المســيح جاء لغفران الخطايا ليس فقط لتجديد الطبيعة كما يقولون، إنما جاء لمغفرة الخطايا، **وما الدليل على ذلك؟**

آيات عن مغفرة الخطايا...

"الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ" (أف ١: ٧).

"الذي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ" (رؤ ١: ٥).

وأيضًـا "وَقَدْ غَسَّـلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُـوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخَرُوفِ" (رؤ٧: ١٤) أي أن الثياب التي كانت قذرة وفيها بشـاعة الخطية بيّضوها بدم الخروف.

كذلك يقول: "الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّـفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّـالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ" (رو٣: ٢٥)، أي لغفران الخطايا السـابقة إذًا ليس فقط تجديد طبيعة، بل وغفران الخطايا السالفة!

لذلك قلت إن الذين يأتون بأفكار جديدة لا يقرأون الإنجيل،

مثلما قال السـيد المسـيح: "تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ" (مت٢٢ :٢٩)، والكتب هذه تتحدث عن غفران الخطايا لأجل الصفح عن الخطايا السالفة، ويقول: "وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ!" (رو٥: ٩) ويقصد "نخلُص من الغضب"؟ أي أن هناك غضب على الخطية ونحن نخلص من هذا الغضب، ويقول: "... أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا.." (١كو١٥: ٣).

ولذلك كان المسيح ذبيحة إثم أو ذبيحة خطية كما كان مُحرقة، يقول: "لِيُبْطِلَ الْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ" (عب٩: ٢٦)، وأيضًا يقول: "إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ" (إش٥٣: ١٠)، ولكي نفهم ذلك جيدًا علينا أن نعرف أن الخطية كانت لها نتائج...

منها إغضاب قلب الله، وأصبح لا يوجد صُلح بين الله والناس؛ وأتى المسيح لكي يُصالح قلب الله الغاضب، لكي يُقيم صُلحًا بين الله والناس، إذًا هناك جزء في الذبيحة مُوجه لله الآب نفسه، وجزء مُوجه للناس.

ومن نتائج الخطية هلاك الإنســـان، فجاء المســـيح كي يُنقذ الإنسان من الهلاك.

إذًا جاء لكي يُصالح قلب الله الغاضب ولكي يُخلص الإنسان الهالك.

وأيضًـــا، لكي يبيد بالموت ذلك الذي له ســـلطان الموت أي الشيطان، لذلك المسيح وهو مُقترب إلى الصليب قال: "الآنَ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ" (يو١٦: ١١)، وقال: "رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ" (لو١٠: ١٨) فكل هذه جاءت بالصليب، ولو قيل إن الصليب لتجديد الطبيعة البشرية فقط، أقول إن هذا كلام غير لاهوتي، فالتعبير اللاهوتي من جهة الله شيء، ومن جهة الإنسان شيء، ومن جهة الشيطان شيء آخر.

❖ **المسيح جاء ليكون ذبيحة محرقة وذبيحة خطية.**

ذبيحة المحرقة

ولذلك كانت هناك ذبيحة المُحرَقة كلها لله وذبيحة الخطية

للإنسـان. أي أن ذبيحة المُحرَقة كانت تشـتعل فيها النار حتى تصــبح رمادًا، لا يأكل منها كاهن، ولا يأكل منها مُقدمها، ولا يأكل منها أحدٌ من الناس، كلها للنار تمامًا، تظل تشـتعل فيها النار حتى تصبح رمادًا، **تُمثل العدل الإلهي، أو تُمثل الجانب الإلهي في الذبيحة**، ومُصـــالحة قلب الله الغاضــب على الخطية، وإعطاء الله حقه في الذبيحة، **ولهذا كانت المُحرَقة هي أولى الذبائح في العهد القديم**، فحينما نقرأ سـفر اللاويين نجد الإصحاح الأول يتحدث عن "ذبيحة المحرقة"، ويشرح لنا أن المحرقة تظل تأكل فيها النار حتى تصـــير رمادًا، وتظل النار تشـتعل نهارًا وليلًا، كلها للنار، والله قيل عنه: "إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ" (عب١٢: ٢٩).

ذبيحة الخطية

أما ذبيحة الخطية فكانت لأجل الإنسان، يضع يده عليها يُقرّ بخطاياه، وهي تحمل خطاياه وبذلك تموت عن خطاياه، وهنا في الذبيحة تتحقق عبارة: "**بريء يموت عن مُذنب**"، أي نفس

بريئة تموت عن نفس مُذنبة وتحمل خطاياها، بشرط أن الذبيحة التي تموت تكون بريئة، **وجاء السيد المسيح كذبيحة مُحرقة يُعطي الله حقه وكذبيحة خطية يُنقذ الإنسان من الهلاك.**

الفرق بين: خاطئ، وحامل خطية.

هناك فرق بين عبارتين، بين عبارة خاطئ وحامل خطية، والذبيحة لم تكن خاطئة بل كانت حاملة خطية، والسيد المسيح لم تكن فيه خطية لكنه كان حاملاً للخطية، "هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!" (يو١: ٢٩)، "كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا" (إش٥٣: ٦)، أي حمل خطايانا كلها، ما دام الرب وضع عليه إثم جميعنا وهو مات عن كل الآثام، إذًا لا نقل إن الصليب لتجديد الطبيعة البشرية فقط، لأن هذا ضد تعليم الكتاب! فالكتاب يقول: "وضع عليه إثم جميعنا"، وهو مات لأجل خطايانا، ليس لأجل خطايانا فقط، إنما لأجل خطايا العالم

كلـه، والانحراف الـذي وقع فيـه بعض النـاس الـذين يقولون: "لمجرد تجديد الطبيعة البشـــرية"!! وماذا إذًا عن الماضـــي وخطايانا؟! والرب وضــع عليه إثم جميعنا، وهو حمل خطايانا وأوجاعنا وليس فقط بل وحمل لعنة الناموس؟ صــار لعنة من أجلنا لكي ينجينا من لعنة الناموس.

الصُلح مع الله بالصليب

يقول: "يُصَــالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِــهِ" أي أن الآب يصــالح به الكل لنفسه، "عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ. قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ فِي جِسْمِ بَشَــــرِيَّتِـهِ بِـالْمَوْتِ" (كو١: ٢٠-٢٢)، "أَيْ إِنَّ اللهَ كَـانَ فِي الْمَسِـيحِ مُصَــالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِــهِ، غَيْرَ حَاسِــبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ" (٢كو٥: ١٩) إذًا ليس مجرد تجديد طبيعة بشرية، هنا مُصالح العالم لنفســه وغير حاســب لهم خطاياهم، **فأول ما قام بمحو الخطية صار الصُلح**، لأن سبب الخصومة بين الله والناس أن هناك خطية، لأنه لا توجد شركة بين النور والظُلمة، فلما محا الخطية بالصليب أصبح هناك صُلحا بين الله والناس؟

ولو قال أحد: طالما "تجددتم فلا توجد خطية" أقول له وماذا عن القديم؟

إن التوبة معناها أن الإنسان يتخلص من القديم ويمشي صح في الجديد، لكن نبدأ بدون تصفية الخراج القديم لا ينفع، مثل واحد أُصيب بتلوث في المعدة وتسبب في ظهور خُراج، فيقرر أن يأكل طعامًا نظيفًا دون علاج التلوث المسبب للخراج!

لذلك يقول: "وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ **صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ**" (رو٥: ١٠)، أي أنه تم صُلح بين الله والناس. فمن يتحدث عن تجديد الطبيعة البشرية ينسى الله في الصليب، ينسى واجبنا نحو الله في الصليب، وينسى عمل المسيح نحو الآب في الصليب؛ "صولحنا مع الآب بموت ابنه"، "عاملًا الصُلح بدم صليبه"، "مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ".

وأيضًا يوجد صُلح آخر بين اليهود والأمم، بين الختان والغُرلة... يقول: "وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ.." (أف٢: ١٦)، أي هناك صُلح مع الآب، وصُلح بين الناس بعضهم وبعض، إلخ.

هل الصليب حب فقط؟

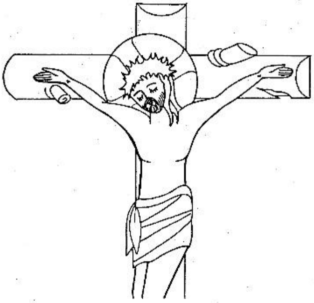

البعض يقول: "إن الصليب حُب"، بالطبع "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ" (يو٣: ١٦)، **لكنه حبًا عمليًا.. لقد ظهر حب الله للناس عندما حمل خطاياهم ودفع ثمنها، وبالدم غطا ومحا الخطية.** لذلك يقول: "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو٣: ١٦).
إذًا محبة الله أتت بذبيحة الصليب لكي لاَ يهلك كل من يؤمن به، فنجاهم من الهلاك ودفع ثمن الخطية بدلًا منهم. أحبهم ومات بدلًا منهم، ولأن هناك آية تهددهم "لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ.." (رو ٦: ٢٣). فكأنما أتى المسيح وقال: "الموت عليَّ والحياة لكم"، هذا هو الحب الحقيقي، أنه مات عنا،

ومحا الخطية بدمه.

فالحب هو الموت عنا، الحب هو الفداء فهو افتدانا بدمه، الحب هو دفع ثمن الخطية، الحب هو استيفاء العدل الإلهي بالنيابة عنا، لأننا كنا عاجزين عن إنقاذ أنفسنا، ولأن أجرة الخطية موت بل وموت أبدي غير محدود، فجاء المسيح وكأنه قال: "لا يهمكم أنا سأموت بدلاً عنكم وأنتم تبقوا أحياء".

الإثبات من الكتاب المقدس

"اشترانا بدمه"؛ أي كنا مبيعين لإبليس رئيس العالم وكنا ملكًا له، فجاء المسيح واشترانا بدمه، يقول في تسبحة سفر الرؤيا: "..لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ" (رؤ٥: ٩) فنحن كنا مُستعبدين، فجاء المسيح يعتقنا ويشتري حياتنا يقول: "لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ" (١كو٦: ٢٠)، ويقول: "كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ" (أع٢٠: ٢٨)، أي أن المسيح اشترانا واقتنانا بدمه ويقول أيضًا: "افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى.. بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ.." (١بط١: ١٨، ١٩)، إذًا يوجد "فداء بالدم"، "شراء بالدم"، "اقتناء بالدم"، وهذا هو الحب الذي ظهر على الصليب.

عملية الصليب كانت عملية فداء.

وكلمة فداء تعني "أن نفس تموت عوضًا عن نفس"، يسمونها "الكفارة أو الفداء".

الكفارة

الكفارة فكر إلهي وخطة إلهية منذ البدء، لم يخترعها بعض المُفكرين الحديثين كما يُنادي البعض! ولدينا في سفر اللاويين "يوم الكفارة العظيم" وكيف يكفر عن الخطايا بالدم في إصحاحي (لا ١٦ و١٧).

✞ فيقول: "لأَنَّهُ فِي هذَا الْيَوْمِ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ لِتَطْهِيرِكُمْ. مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ تَطْهُرُونَ" (لا١٦: ٣٠)، فيحضر رئيس الكهنة ويذبحوا ذبيحة ويُكفّر عن الشعب كله عن جميع خطاياه.

✞ ويقول: "لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ، فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ، لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ" (لا ١٧: ١١)، حياة تؤخذ عوضًا عن حياة، والذبيحة نفسها

تُســـفك بدمها فتفقد حياتها لكي تُعطي حياة لآخرين، هكذا المسيح بدمه أعطى كفارة.

الكفارة هذه موجودة في العهد الجديد في نصـــوص واضـــحة وصـــريحة عن ذبيحة المســيح، يقول: "مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُـــوعَ الْمَسِـــيحِ الَّذِي **قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ**، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّـــفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّـــالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ" (رو٣: ٢٤، ٢٥)، ويقول: ".. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًـــا" (١يو٢: ١، ٢)، فمبدأ الكفارة هذا مبدأ في العهد الجديد كما العهد القديم.

وأيضًـــا يقول: "فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، **بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَـلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا**" (١يو٤: ١٠)، إذًا هذه هي محبة الله على الصـليب أنه أرسـل ابنه كفارة عن خطايانا.

وإذا كانت الكفارة والفداء موضوع واحد، فهناك آيات كثيرة عن الفداء موجودة في الكتاب.

آيات عن الفداء

+ "اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ" (غلا٣: ١٣). أي كل لعنات الناموس وبخاصة الموجودة في (تث٢٨) المسيح أخذها بالنيابة عنا.

+ "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (١تي٢: ٦).

+ "حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!" (يو١: ٢٩).

+ "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (تي٢: ١٤)، وسيفدينا من كل إثم؛ ليس عن تجديد طبيعة بل عن الخطايا السالفة.

+ ".. مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ.. لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ.." (غلا٤: ٤، ٥). ويقول أيضًا: "لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ" (عب٩: ٢٨).

عبارة "لأجلنا"..

أيضا قصة الفداء تأتي كثيرًا في عبارة "**لأجلنا**" فواحد لأجل

واحد أي يفتديه، فيقول: "وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رو٥: ٨) مات لأجلنا أي افتدانا ونحن خطاة، لكي ينجينا من ثمن خطيتنا.

حيث يقول: "الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ" (١بط ٣: ١٨). فجاء المسيح ونحن الخطاة تحت حكم الموت، مات بدلاً عنا مات لأجلنا، من أجل خطايانا السالفة، فلو كان لمجرد تجديد طبيعتنا، إذًا لماذا يموت لأجلنا؟!

فالمسيح يستطيع أن يجدد طبيعتنا بالنعمة، بالروح القدس، وبقوة إلهية تحمينا من الخطية وتعطينا قوة لمقاومتها، بعمل الروح القدس والنعمة.

ونحن جددنا طبعًا في المعمودية، لأنه يقول في المعمودية في (رو٦) إننا نقوم "فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ"، أي الحياة الجديدة.

ولكن هنا "لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا"، "مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ" (رو٥: ٨، ٦)، أي مات بدلاً عنهم ليذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد.

المسيح كذبيحة

"لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ **ذُبحَ** لأَجْلِنَا" (١كو٥: ٧)، هنا يصور المسيح كذبيحة، وأيضًا يقول: "كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً" (أف٥: ٢). واضح أن المسيح كذبيحة يحمل خطايا غيره وذبيحة لله ورائحة طيبة، أي محرقة يصالح بها قلب الله الغاضب. "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا" (تي٢: ١٤)، "وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا.." (إش٥٣: ٥)، "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ" (١بط ٣: ١٨)، واضحة مسألة الفداء، إن المسيح جاء لكي يخلص الناس.

"لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبحَ لأَجْلِنَا" (١كو٥: ٧)

من أجل هذا جاء إنسانًا، ومن أجل هذا جاء بطبيعته بلا

خطيـة لكي يُمكن أنـه يحمـل الخطـايـا التي لغيره، ولـذلـك في تقدمة الدقيق في (لاويين٢) التي تمثل ناســـوت المســـيح وتجســـده، لا يوجد فيها خمير البتة لأن الخمير رمز للخطية، فهي كانت فطيرًا بلا خمير، لأن الخمير رمز للخطية.

وثمة سـؤال، لماذا نعمل القربان ونقدمه في الحمل وفيه خمير؟

لأن المسيح الذي لا يوجد فيه خمير بطبيعته حمل كل الخمير الذي في العالم، حمل خطـايـانـا، فلو قدمنـاه فطير فقط، فلم نُقدمه "حامل خطايانا"، فكيف نســـميه حمل إذًا؟ الحَمل لأنه "حَمل" خطايانا لذلك نضع فيه الخمير، ليس الخمير الذي في طبيعته إنما الخمير الذي في طبيعتنا نحن، **أما المسيح نفسه فهو قدس أقداس**، ولذلك ذبيحة الخطية مع أنها كانت تحمل خطايا مُقدِمها، إلا إنها تُســـمى في ســـفر اللاويين "**قدس أقداس**".

إن الذبائح بدأت منذ البدء منذ أن كسـا الله آدم بجلد حيوان..

الخطية كشفت الإنسان، وأحس أنه عريان فكأنما المسيح قال له: "أوراق التين لم تعد تنفعك يا حبيبي"، الذي ينفعك هو الجلد، أي تذبح ذبيحة ويُسفك دمها وتأخذ جلدها يُغطيك من عُريك، فأصبح الإنسان عنده فكرة أن "الخطية تعريه والذبيحة تغطيه"، وهذا أول مبدأ.

وبعدها بدأت الذبائح عن الخطايا، ثم ارتقى بفكر الإنسان في قصة إبراهيم لتقديم ذبيحة الابن الوحيد مجرد فكر، فيقدم ذبيحة بلا عيب، ثم ذبيحة تحمل خطايا غيره، ثم يقرّ بخطاياه على رأس الذبيحة لأن الذبيحة تأخد خطاياه، ثم في يوم الكفارة العظيم في (لاويين ١٦) ذبيحة منهم تلقى في البرية لا يراها أحد، إشارة إلى أن الخطية بعدت عن الإنسان جدًا ولا يعود يذكرها ولا يعرف أين هي.

وذبيحة تموت عنه إشارة إلى الدم المسفوك عنه، ثم خطوة

بخطوة بدأت تدخل في تفاصيل الخطايا المُحرقة التي هي من أجل قلب الله الغاضـــب، والخطية التي هي من أجل تخليص الإنســـان الهالك، إلى أن بدأ كل ذلك يأتي كرموز في "ذبيحة المسيح"، جاء فيها الكل، حتى الفصح "فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ" (خر١٢: ١٣)، إن دم الذبيحة ينجي الإنســـان من الموت، وينجي الأبكار من الموت ثم يأتي بولس الرسول ويقول: "لأَنَّ فِصْـحَنَا أَيْضًـا الْمَسِـيحَ قَدْ ذُبحَ لأَجْلِنَا" (١كو٥: ٧)؛ المسـيح هو الذي نجانا من الموت.

✞ ✞